[سورة الشّورىٰ: خمسون وثلاث آيات][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٤ ﴾

الكلام فيه قد سبق [2]، غير أن الفصل لجواز أن يكونا اسمين [3]، بخلاف ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ [مريم: ١]، أو من أسماء الله. وقيل: إشارة إلى الفتن، كان علي ﷺ يعرف الفتن بها[4]، وما نقل عن ابن عباس أنها نزلت في رجل يسمى أبا عبد الله نزل بنهر في المشرق، ويبني مدينتين[5]، وروي مرفوعا[6]. وعنه: إنه ما من نبي إلا وقد أوحي إليه: حم

(١) ما بين المعقوفين زيادة من (ج، ح)، ليست في الأصل ولا في باقي النسح.

(٢) أي: الكلام عمومًا في الحروف المقطعة قد سبق، وذلك في أول تفسير سورة البقرة.

(٣) أي: الفصل بين ﴿ حمٓ ﴾ وبين ﴿ عٓسٓقٓ ﴾. ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص٦٣٨).

(٤) ينظر: بحر العلوم (٣/٢٢٣).

(٥) هكذا في جميع النسخ، وفي اللباب: (يبني عليه مدينتين)، رسالة اللباب ١/٢٨٣، [تحقيق: إبراهيم الحكمي].

(٦) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٢٥/٦)، وقد تعقبه ابن كثير في تفسيره فقال: "وقد روى ابن جرير ها هنا أثرًا غريبًا عجيبًا منكرًا". تفسير القرآن العظيم (٤/١١٤).

عسق[1]. فالظاهر أن المراد معانيها كما قيل، وبه يندفع استبعاد صاحب "المفاتح"[2]، أو لاستقلال ﴿حمٓ﴾ دونه[3]، وعلة الفصل يطابقها مع غيرها، وعُدَّا آيتين[4].

ويقرأ بغير العين[5].

و﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما فيها من المعاني كالتوحيد والنبوة والترغيب في الآخرة، فإن معظم الحكمة في الكتب الإلهية هذه المقاصد، وهو يناسب ما في ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١]، فإنه لما قررها قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨]. وقيل: شأن محمد ﷺ، أو شأن كل من أوحي إليه، أو التقدير: مثل إيحاء هذه السورة يوحي الله إليك والأنبياء المتقدمين[6].

وذكر المضارع على حكاية الحال الماضية للإشعار باستمرار الوحي، وأن ذلك من عادة الله سبحانه.

وقرئ: ﴿يُوحَىٰٓ﴾ ببناء المجهول[7]، و﴿كَذَٰلِكَ﴾ يكون مبتدأ إذ التقدير: مثل ذلك، ويوحى خبره أسند إلى ضميره، أو مصدر، ويوحى مسند ﴿إِلَيْكَ﴾، ورافع اسم ﴿ٱللَّهُ﴾ ما

---

(١) ينظر: بحر العلوم (٣/٢٢٤)، الكشف والبيان (٨/٣٠٣)، معالم التنزيل (٧/١٨٤).

(٢) قال الرازي: "وهذا عندي بعيد". مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٢٣).

(٣) قال في اللباب: "وفصل ﴿حمٓ﴾ من ﴿عٓسٓقٓ﴾ خلاف ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١]؛ لتقدم ﴿حمٓ﴾ قبله، واستقلال هذه بنفسها". رسالة اللباب ١/٢٨٤ [تحقيق: إبراهيم الحكمي].

(٤) ينظر: الكشف والبيان (٨/٣٠١)، وقال ابن عطية: "فُصِلت ﴿حمٓ﴾ من ﴿عٓسٓقٓ﴾، ولم يفعل ذلك بـ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: ١]؛ لتجري هذه مجرى الحواميم أخواتها.

(٥) أي: (حم سق)، وهي قراءة شاذة لابن مسعود وابن عباس. ينظر: شواذ القرآن لابن خالويه (ص١٣٤)، الكشاف (٤/ ٢١٣).

(٦) في الأصل: (المتقين) وهو تحريف، والتصويب من (ن).

(٧) قراءة ابن كثير وحده، ينظر: المبسوط (ص٣٩٥).

دل عليه ﴿يُوحَىٰٓ﴾، كأن قائلًا قال: من الموحي؟ قال: الله، فهو مثل: ﴿يُسَبِّحُ﴾[1] [النور: ٣٦]، وليَبكِ يزيد[2]، وما يقرأ بالنون[3] فـ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ، ما بعده من الظرف خبره.

و﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ صفتان مقررتان لعلو شأن الموحى به، كما سبق في السورة المتقدمة من الدلالة على كمال العلم والقدرة[4]. وعلى قراءة النون يجوز أن يكون ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ وما بعده أخبارًا، وإذا جعلا صفتين فقوله: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خبران له، أي: له ذلك ملكًا وملكًا[5]، وهو العلي شأنه، العظيم برهانه، فسبحانه ما أعظم شأنه! وما بعده تقرير للوصفين. وعلى التقديرات الأخر استئناف بين بذلك كمال العزة والحكمة في سلطانه وتدبير ملكه وأمور عباده.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [٧٨٢/أ].

أي: قريب أن يتشققن، والمبالغة لعله لمقتضى الانشقاق، أو لكيفيته.

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ له فيها﴾، فيمن فتح الباء، وهي قراءة: ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم. ينظر: السبعة (ص٤٥٦)، التيسير (ص١٣٢).

(٢) يشير إلى قول الشاعر:

لِيبكِ يزيدٌ ضارع لخصومةٍ *** ومُختبط مما تُطِيح الطوائح

والبيت لنهشل بن حري، في قصيدة من ثمانية أبيات. ينظر: شعراء مُقِلُّون لحاتم الضامن، شعر نهشل بن حري (ص٨٧-٨٨).

(٣) قراءة شاذة لأبي حيوة، والأعشى عن أبي بكر، وأبان، ينظر: البحر المحيط (٤٨٦/٧).

(٤) هذا ليس من كلام المؤلف بل منقول عن الرازي، والرازي قد بين ذلك عند تفسير الآية (٢) من سورة غافر. ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٢٣).

(٥) هكذا في جميع النسخ، وفي اللباب: (﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خلقًا وملكًا). رسالة اللباب ٢٨٦/١، [تحقيق: إبراهيم الحكمي].

وقرئ بغير المبالغة[1]، ويقرأ: بالتاء[2] لتأنيثها في ﴿ تَكَادُ ﴾، و﴿يَتَفَطَّرْنَ ﴾، والضمير للسموات، أي: تكاد كل منها ينفطر فوق الأخرى التي يليها، أو تنفطرن من أعلاهن لعظمة الله سبحانه. و﴿مِن ﴾ للابتداء، أي: مبدأ التفطر جهة فوق، أو هي السبب؛ لأن علة الانشقاق الحسية من فوقها، فإنها تكاد تنفطر من هيبة من فوقها فوقية بالألوهية، أو من ادعاء الولد لقوله تعالى: ﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٩١]، أو هنا لإثبات الشركاء لله، أو على الأول: تخصيص جهة فوق؛ لأن أعظم الآيات وأدلها على علو شأنه من تلك الجهة، وأما على الثاني: فلإشعار بأن الانفطار من تحتهن بالطريق الأولى. وقيل: الضمير للأرض، والجمع لمعنى الجنس، وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من ثقل الرحمن[3] فقد قيل:

---

(١) أي: (يَنفَطِرْنَ)، وقرأ بذلك أبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر، ويعقوب. ينظر: الحجة للقراء السبعة (١٢٧/٦)، تحبير التيسير (ص٥٤٥).

(٢) أي: (تَتَفَطَّرْنَ): قرأ بذلك: ابن كثير، وابن عامر، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو جعفر ويعقوب وخلف. ينظر: السبعة في القراءات (٤١٢/١-٤١٣)، البحر المحيط (٢٠٥/٦)، النشر في القراءات العشر (٣١٩/٢).

أما القراءة بالتاء في ﴿يَتَفَطَّرْنَ ﴾، فلعل المؤلف نقل ما أورده الزمخشري في الكشاف (٢١٣/٤) حيث قال: "وروى يونس عن أبي عمرو قراءة غريبة (تتفطرن) بتاءين مع النون، ونظيرها حرف نادر، روى في نوادر ابن الأعرابي: الإبل تشممن"، وتعقبه أبو حيان، فقال: "والظاهر أن هذا وهم من الزمخشري في النقل، لأن ابن خالويه ذكر في شواذ القر اءات ما نصه: "تفطرن بالتاء والنون، يونس عن أبي عمرو..." البحر المحيط (٧/ ٤٨٦)، وانظر شواذ القرآن لابن خالويه (ص١٣٤).

(٣) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٧/٢٥)، وأورده السيوطي في الدر المنثور (١٣١/١٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والحاكم وصححه، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤٨٠/٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وعلق الذهبي في التلخيص بقوله: "صحيح".

إن صح ذلك فهو كقوله تعالى: ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]. وفي "المفاتح" قطع ببراءة ابن عباس عنه[١].

والملائكة إما للشمول، أو الجملة، وتسبحيهم إما الصلاة أو التنزيه المقرون بحمد الله على إنعامه عليهم، وقيل: بإذنه.

والاستغفار للمؤمنين منهم كما سبق[٢]، وهو: الشفاعة وإلهام الخير وإعداد المقربات إلى الله تعالى، وذلك شاغل للمؤمن والكافر، بل لو حمل على المتسبب إلى ما يدفع الخلل المتوقع عمَّ الجماد أيضًا، فكيف الحيوان؟! لكن لو قيل: للمؤمنين اختص بالشفاعة، قال في "المفاتح": الجواهر الروحانية لها تعلق بعالم الكبرياء باعتبار القبول، فإن الجلايا القدسية والأضواء الصمدية إذا أشرقت عليها استضاءت وأشرقت فقويت بها على عالم الجسمانيات، فلها وجهان: وجه إلى جانب الكبرياء وحضرة الجلال، ووجه إلى عالم الأجسام، والتسبيح والتحميد بالأول، والاستغفار بالثاني[٣].

وتقدم التسبيح على الحمد لأن التنزه عما لا ينبغي متقدم على كونه فياضًا للخير، قال في "الأنوار": إن بناء المبالغة في ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لأنه ما من مخلوق إلا وله حظ من رحمته، وإذا حمل الانفطار على أنه من عظمة الله، فالآية تقرير لها، وإن حمل على أنه من ادعاء الولد فيدل على تقدسه عن ذلك، وأن عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته [٤]، والرحمة الكاملة المطلقة لله تعالى، فإنه خلق في الملائكة دواعي الاستغفار للبشر.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٢٤).

(٢) عند تفسير الآية (٧) من سورة غافر.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٢٥).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص٦٣٨).

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ٦ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧ ﴾

أي: اتخذوا شركاء لله وأندادًا، فالله رقيب على أحوالهم، وحافظ لها، فيجازيهم عليها، ﴿وَمَآ أَنتَ﴾ -يا محمد- بموكل عليهم، تمنعهم من الكفر، وتقسرهم على الإيمان، أو ما أنت بموكول إليك أمرهم.

والإشارة بـ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إلى مصدر ﴿يُوحِيٓ﴾، أو إلى معنى الآية المتقدمة إلى قوله: ﴿حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ﴾؛ لأنه قد تكرر في القرآن، والكاف بمعنى مثل، وهو مفعول به، و ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا﴾ حال منه، أي: كما أوحينا إلى الرسل قبلك أوحينا إليك حالة كون مثل ذلك الموحى قرآنًا عربيًا. وقيل: التقدير: إنا أوحينا إلى الذين من قبلك بمثل هذه الحروف، كذلك أوحينا إليك بمثل هذه الحروف قرآنًا.

و﴿أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾ مكة؛ لأن غيرها من الأرض دحيت من تحتها، أو لأنها أشرفها، أي: ينذر أهلها، ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾: العرب، فهم مبدأ الإنذار، ثم الأقرب فالأقرب، وقيل: أهل الأرض جميعًا. وعلى الأول لا يشكل بأنه يدل على كونه مبعوثًا إليهم لا غير؛ لأنه إذا ثبتت نبوته بكونه مبعوثًا إليهم، ثم ثبت بالتواتر أنه كان يقول: إني رسول إلى الخلق كلهم، وكذلك الآية، وهي قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨]، يشعر به.

والإنذار بيوم الجمع هو الإنذار بيوم القيامة، وسمي به لجمع الخلائق أرواحها وأشباحها، أو للجمع بينها وإحضار أعمالهم. وإنما حذف ثاني مفعولي الأول وهو ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ﴾، وأول مفعولي الثاني؛ لأن في الإبهام عظيمًا حيث يحتمل كل مُنذَر به، وكل مُنذَر.

و﴿لَا رَيۡبَ﴾ حمل على أنه اعتراض، فلا محل لها.

ولقائل أن يقول: جاز أن يكون محلها النصب على الحال، أي: ينذرهم يوم القيامة منتفيًا عنه الشك بإقامة البرهان على إمكانه كما سبق غير مرة، ثم أبعد الجمع منهم فريق في الجنة وفريق في السعير، يجمعون أولًا، ثم يفرقون. والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه. وما يقرأ بالنصب [1]، أي: تنذرهم يوم جمعهم متفرقين، أي: آيلين إلى التفرق، أو متفرقين في داري الثواب والعقاب.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾

أي: واحدة في الهداية، أو في الضلالة، أو ألجأهم إلى الإيمان، لكن لم يستحقوا الثواب عليه، لكن يدخل بسبب الهداية إلى الإسلام من تعلقت به مشيئته في رحمته، والعدول [٧٨٢/ب] في ذكر الظالمين عن طريق المقابلة الذي ويمنع من يشاء من رحمته، أو الظالمون لا يدخلهم فيها للمبالغة في الوعيد، إذ الكلام في الإنذار، هكذا قاله في "الأنوار"[2].

ولعل المبالغة باعتبار الجملة الاسمية الدالة على الثبات، وترتب [3] الحكم على وصف الظلم، وتعميم نفي الولي، وعطف النصير عليه، وفيه الإشارة إلى أن الأولين لهم الولي والنصير؛ لأنه تعليق الحكم بالوصف.

و﴿أَمِ﴾ منقطعة، أي: بل اتخذت الظلمة أولياء من دون الله كالأصنام، والفاء جواب لشرط محذوف، أي: إن طلبوا أولياء فالله هو الولي بحق، وهو القادر على إحياء الموتى، فيعذب الظالم، ويرحم المؤمن، وكونه على كل شيء قدير تعميم بعد تخصيص، وهو تقرير أن لا ولي يعتد بولايته غير الله.

---

(١) أي: بنصب (فريق) في الموضعين، وهي قراءة شاذة لزيد بن علي. ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٨٧).

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص٦٣٩).

(٣) في (ح): (وترتيب).

﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠ ﴾

شامل لأمر الدارين، فيدخل فيه كفر بعض أهل مكة، وإسلام بعضهم، فيحكم الله بين المحق والمبطل بإثابة الأول، ومعاقبة الثاني في الآخرة، أو إظهار المؤمن على المسلم بالقتل والأسر، والمراد أن علمه في كتاب الله وسنة الرسول عليه السلام، أو حكمه إلى الله، وقد بينه في كتابه تفصيلًا أو إجمالًا، وفيه جواب نفاة القياس، حيث اعتقدوا أنه لا يفهم الأحكام إلا من النصوص، وليس كذلك؛ لأن حكمه لا يعرف إلا من بيان الله، والقياس من بيانه، أو البيان رد المتشابه إلى المحكم.

الإشارة إلى الإله الموصوف بالصفات المذكورة، ولعله للإشارة إلى التوكل عليه دون غيره في مجامع الأمور، وتقديم الظرف أفاد الحصر، وكذلك في الإنابة إلى الله في مجامع الأمور.

﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾

خبر آخر لـ﴿ ذَٰلِكُمُ ﴾، أو مبتدأ خبره ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ ﴾، أي: خلقها من جنسكم ذكورًا وإناثًا، والأزواج من الأنعام كذلك، إذ المعنى: وخلق للأنعام من جنسها أزواجًا، أو خلق لكم من الأنعام أصنافًا.

ويقرأ بالجر[1]، فيكون صفة الله، أو بدلًا من الضمير في ﴿ إِلَيۡهِ ﴾.

والذرء: الخلق بكثرة كما سبق [2]؛ ولذلك فسر بكل جزء، فقيل: كثركم أو جعلكم ذرية، وضمير ﴿ فِيهِۚ ﴾ للتدبير الذي هو أن جعل للناس أزواجًا وللأنعام أزواجًا، وضمير العقلاء في ﴿ يَذۡرَؤُكُمۡ ﴾ لتغليبهم للعقل والخطاب، وإنما لم يقل: يذرؤكم به، وقال:

(١) أي: (فاطرِ)، وهي قراءة شاذة لزيد بن علي. ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٨٨).
(٢) عند تفسير الآية (١٧٩) من سورة الأعراف.

﴿فِيهِۚ﴾؛ لأنه جعل هذا التدبير كالمعدن لهذا التكثير، ويدل عليه أنه يقال للحيوان في خلق الأزواج تكثير مثل: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقيل: التقدير به، فمن جعل الضمير لمصدر جعل، ومن جعله كناية عن الاختلاف فيما اختلفتم قال: معناه له؛ لقوله تعالى ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ﴾ [هود: ١١٩] بعد ذكر الاختلاف، وقيل: يعود إلى الأنعام، مثل: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا﴾ [النحل: ٦٩] أي: يعيشكم منها.

والكاف[١] في ﴿كَمِثۡلِهِۦ﴾ زائدة كزيادة قول الشاعر:

قتلى كمثل جذوع النخيل *** يغشاهم سيل المنهمر[٢]

لإفادة تأكيد نفي التماثل، ويؤيد ما قيل: إنه يقتضي نفي المثل عن مثله لا عنه، وذلك يوجب إثبات المثل لله، فإن العرب تقول: مثلك لا يفعل كذا، أي: أنت لا تفعله، فالمراد النفي عنه، وتقول: لا يقال لمثلي هذا، أي: لا يقال لي.

ووجه المبالغة كما قال في "المفاتح": إنه إذا كان الحكم منفيًا عمن كان مشابهًا، فلأن يكون منفيًا عنه كان أولى، ولقائل أن يقول: إذا ثبت على ما زعم هو وغيره أن الاصطلاح في المثلين المتشاركين في الحقيقة لم يستقم قوله: إذا كان هذا حكم المشابه، ومن قال: المثل زيادة فالتقدير: ليس هو شيء، فالمراد مثل الذات، أي ليس كذاته شيء، وعدم المماثلة لما لم يتصور في الصفات، فإن الإنسان يتصف بالعلم والقدرة، فالمراد الذات، فالمعنى: إن شيئًا من الذوات لا تماثل ذات الله تعالى، ففيه نفي الجسمية وإلا لكان مماثلًا للأجسام في التحيز

---

(١) قال البغوي: "(مثل) صلة، أي: ليس هو كشيء، فأدخل المثل للتوكيد، كقوله: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ (البقرة: ١٣٧)، وقيل: الكاف صلة، مجازه: ليس مثله شيء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس له نظير، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾". معالم التنزيل (٧/ ١٨٦).

(٢) البيت لأوس بن حجر ينظر: جامع البيان (١٢/٢٥)، الكشف والبيان (٣٠٦/٨).

وسائر ما يصح على الأجسام من الحدوث والقدم وغيرهما؛ لأن المثلين ما يقوم كل مقام الآخر في تمام حقيقته ويشملهما نوع واحد[1].

وكونه سميعًا بصيرًا عالمًا بالمسموعات والمبصرات، لا الإدراك على الوجه الحاصل للإنسان، فإن قيل: ما وجه ذكر الوصفين هنا؟ قلنا: قد قال بعضهم: لئلا يتوهم أنه كما لا مثل له فلا صفة له، وهو كما ترى. نعم، لما ذكر الإنعام العظيم والاتصاف بما يقتضي التوحيد بيّن أنه يسمع شكر الشاكر على إنعامه، ويرى حال المعتبر بذكر مقتضى توحيده، ففيه ترغيب وترهيب.

﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

قد سبق في سورة التنزيل [2] أنه جمع إقليد غير القياس أو مقليد أو مقلاد، والمراد: خزائنهما من المطر والنبات، أو قول: لا إله إلا الله، والله أكبر إلى آخره، أو غيرها، فلا يكرره، غير أنه لا تكرار في الآية باعتبار أنه مقدمة كونه سبحانه موسع الرزق على من يشاء، أو مضيق على من يشاء. وقيل: يقدر له البسط، فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر، والوصف بكونه عليمًا للإشعار بأن التوسيع والتقتير ليس إلا لمصالح العباد، كما أشار إليه بقوله: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٢٧]، وهذا العموم غير مخصوص البتة، بخلاف سائر العمومات [٧٨٣/أ]، ولا عبرة بقول المخالف فيه؛ لأنه ليس من أهل الإجماع سوى من قيد بالبسط والتقتير نظرًا إلى السياق، وقد سبق غير مرة أن النظر إلى عموم اللفظ.

ويقرأ: ﴿يُقَدِّرُ﴾[3] من التقدير.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٢٩).

(٢) عند تفسير الآية (٦٣) من سورة الزمر.

(٣) عن ابن عمير. ينظر: شواذ القراءات (ص٢٥٨).

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾

حمل على أنه تفصيل قوله: ﴿ وَإِلَىٰ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ﴾، ويحتمل في الربط أن يقال: لـمَّا بيَّن عظمته بذكر المقاليد، وأن كثرة الرزق وقلته من مقاديره، عقبه بلزوم عبادته؛ ليكون كالمحرِّض عليها، وأن يكون الإعراض عنها أقبح.

وتخصيص هؤلاء الأنبياء لأنهم الأكابر، وأصحاب الأمم العظيمة؛ لأنهم بين دين نوح ودين محمد عليهما السلام.

والمراد بالـمُوصَى به: أصول الدين من: الإيمان بالله وبصفاته، والملائكة، والكتب، والرسل، ومكارم الأخلاق، والإعراض عن الرذائل، والإقبال على الآخرة دون الدنيا، فإنها لا تختلف باختلاف الأديان. ولا دلالة فيه أن النبي ﷺ كان على دين نوح في أول الأمر لعطف سائر الأنبياء عليه، فالمراد: المتفق عليه وهو الأصول.

ومحل ﴿ أَنۡ أَقِيمُواْ ﴾ النصب بدلًا من ﴿ مَا وَصَّىٰ ﴾ وما عطف عليه، وإن استؤنف به، فكأنه جواب من سأل: عن ذلك المشروع والنهي عن التفرق والتحريض في التوافق؛ لأن للنفوس عند تطابقها ورعاية بعضها بعضًا تأثيرات عظيمة؛ ولذلك شرعت الجماعات، ولذلك قال علي بن أبي طالب: لا تتفرقوا فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب [1]، لا سيما والاختلاف خلاف مصلحة العالَم؛ لإفضائه إلى الهرج والمرج والقتل والنهب. وحمل في

(١) لم أقف عليه عن علي ﷺ، وقد أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/٢٧٨، برقم: (١٨٤٧٢)، بسنده عن النعمان بن بشير قال: قال النبي ﷺ على الْمِنْبَرِ: ((**من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، التحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب**)). قال الألباني عن سنده: "وهذا إسناد حسن، رجاله ثقات". السلسلة الصحيحة (١/ ٨).

"المفاتح" على القول بالآلهة الكثيرة لقوله تعالى: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ [يوسف: ٣٩][(١)]، ولعل الأولى القول بالإطلاق؛ لأنه يصدق عليه وعلى غيره، ولا دليل لنفاة القياس فيه حيث، قالوا: صح بأن القياس يفضي إلى أعظم التنازع، فيكون منهيًا عنه؛ لأنه يحتمل أن يجاب عنه بالتخصيص لقوله ﷺ: ((**اختلاف أمتي رحمة**))[(٢)] وغيره.

وفي الآية دليل على أن بعض الأحكام لا يتطرق إليه النسخ.

وإنما كبر على المشركين وشق عليهم ما يدعوهم إليه من إقامة الدين على وجه الاتفاق لمنافاته مذهبهم، كما قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]، ولما أرشدهم إلى الدين المتفق عليه بيّن أن ذلك لاجتبائهم واصطفائهم؛ لما فيهم من الخير، وأنه لا عبرة بالحسب والنسب، بل الكل سواء، ويلزمهم اتباع الرسل. وأصل الاجتباء: الضم والجمع، يقال: جبى المال والماء في الحوض، وحمله الهداية لمن يكتب ما ورد في الحديث القدسي: ((**من تقرب مني شبرًا تقربت إليه ذراعا**))[(٣)].

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٣٥).

(٢) قال الألباني رحمه الله: "(اختلاف أمتي رحمة): لا أصل له، ولقد جهد المحدثون في أن يقفوا له على سند فلم يوفقوا". السلسلة الضعيفة (١/ ١٤١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/٢٦٩٤- ٢٧٤١)، كتاب التوحيد، باب: قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله جل ذكره : ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]،برقم: (٦٩٧٠)، عن أبي هريرة ﷺ، كما خرجه في كتاب التوحيد، باب ذكر النبي ﷺ عن ربه، برقم: (٧٠٩٩) عن أبي هريرة ﷺ أيضًا بلفظ: ((**إذا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ منه ذِرَاعًا وإذا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ منه بَاعًا أو بُوعًا**...)) الحديث. وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٦١)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، برقم (٢٦٧٥)، عن أبي هريرة ﷺ بنحوه.

أي: لم تتفرق الأمم السالفة، أو أهل الكتاب إلا بعد أن جاءهم العلم بصحة ما يُدعون إليه، أو أن التفرق ضلال. ومن حمل العلم على القرآن أو النبي عليه السلام فيناسب ما قيل: الضمير لأهل الكتاب، أو العلم بإقامة الدين وترك التفرق، أو أسباب العلم.

وكونهم في شك يشعر بالقول الأخير.

و﴿بَغۡيَۢا﴾ أي: حسدًا أو عداوة، أو طلب الدنيا.

ولولا كلمة الله السابقة بالإمهال، أو تأخير العذاب إلى الأجل المعلوم الذي هو الساعة أو الموت لأتاهم العذاب عاجلًا.

و﴿ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: اليهود والنصارى؛ لأنه التوراة والإنجيل، وهم الذين كانوا في عهد النبي عليه السلام، أو المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد أهل الكتاب.

ويقرأ ﴿وُرِّثُوا﴾ (١)، و﴿ورثوا﴾ (٢). ﴿لَفِي شَكّٖ﴾من القرآن، أو صدق الرسول.

فإن قيل: ما وجه الجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ﴾ [البقرة: ١٤٤]؟

قلنا: إضافة الحكم إلى الجنس لا يستدعي الثبوت لكل فرد، فيصح الأمران، أو المراد بالشك ظهور آثاره من عدم الاتباع بغيًا وحسدًا؛ لأن أهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ بعد العلم بنبوته.

والمريب: المدخل في الريبة، أو مقلق، وقيل: المراد العرب، وفيه بُعد.

وقيل: هم في شك من كتبهم، ولا يؤمنون به حق الإيمان، قيل: كان الناس بعد الطوفان مؤمنين، فلما ماتوا اختلف أبناؤهم حين بعث إليهم الأنبياء وجاءهم العلم للبغي بينهم.

---

(١) قراءة شاذة لزيد بن علي. ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٩٠)، الدر المصون (٩/ ٥٤٦).

(٢) أوردها الزمخشري في الكشاف ولم يعزها. ينظر: الكشاف (٤/٢٢٠).

﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾

أي: لأجل هذا الاختلاف ادع إلى الدين الحنيفي، واستقم عليه وهو أولى من تقدير: الدين والتوحيد والقرآن والعلم؛ للسياق. وإن قيل: اللام بمعنى (إلى) كما في ﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] لم يستقم ذلك التقدير، والاستقامة المأمور بها الثبات على الدين أو أمر الله، أو التبليغ، أو الطاعة، فإن ذلك مأمور به في القرآن.

ولا [٧٨٣/ب] تتبع آراءهم الباطلة، وتعميم المنزل في وجوب الإيمان اقتضى أن يقول: آمنت بكل كتاب صح أن الله أنزله، لا كقول الكفرة: ﴿نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ﴾ [النساء: ١٥٠].

وأمرت أن أحكم بالعدل بينكم إن تحاكمتم إليَّ، والأول إشارة إلى كمال القوة العلمية، والثاني إلى العملية، ولعل تخصيص اسم الرب هنا؛ للإشارة إلى أن الأمر بالعدل من جملة التربية الشاملة للحاكم والمحكوم عليه، ثم إنه إذا كان كل منَّا مجازى بعمله لم يكن الإخلال بالعدل.

ومعنى ﴿لَا حُجَّةَ﴾ أنه لا خصومة بيننا وبينكم؛ لأنه إذا تبين أن الحق ماذا، لم يبق للمحاجة معنى، والخلاف بعده لم يكن إلا لمجرد التعنت.

وفي ذكر أن الله يجمع بين الفريقين يوم القيامة، وأنه لا بد وأن يكون مرجع الكل إلى الله لفصل القضاء، تهديد شديد. وما قيل: إنها منسوخة [1] للإشعار بالمشاركة، ليس بقوي؛

(١) عن ابن عباس: "هو خطاب لأهل الكتاب، ثم نسخ بقوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩]". ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص٦٥٢).

لأنه إذا كان في معرض المجادلة والحاجة لم يكن فيه مشاركة، حتى قال بعضهم: لم يبق بيننا محاجة، بل السيف. نعم، غاية ما في الباب لزوم تخصيص، هو أحسن من النسخ بدرجات.

﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾

أي: في توحيده، وقيل: في دينه، وهو أولى لاستلزامه، غير أن الأول للمشركين، وهذا في أهل الكتاب حيث قالوا: كتابنا ودِيننا قبل كتابكم ودينكم، أو اليهود حيث قالوا: أنتم زعمتم أن المتفق أولى، ودِيننا متفق عليه دون دينكم.

وجوابهم: أما أولًا: فلأن التقدم لا يقتضي الأرجحية، وإلا لكان دين مَن قبل موسى أرجح بزعمهم. وأما ثانيًا: فلأنه لما كان سبب الوفاق على حقية دين موسى المعجز، فمعجزات النبي عليه السلام دلت على صحة دينه، وهو معنى قوله: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ ﴾ أي: استجاب الله محمدًا بظهور المعجز، وقيل: استجاب المخالفين واعترافهم بنبوته لوجود نعت النبي عليه السلام في كتابهم، واستفتاحهم المشركين به، أو استجاب المؤمنين لكتابهم، ودخلوا في الريب ليردوهم إلى دين الجاهلية، لقوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم ﴾ الآية [البقرة: ١٠٩]، أو أجيب المخالفون إلى ما طلبوا من البيان والبرهان، أو أجيب له يوم الميثاق، ومن هنا ظهر أن حجتهم باطلة زائلة؛ لاستنادها إلى باطل، فإطلاق الحجة عليها لاعتقادهم ذلك، فيكون لهم عذاب النار الذي هو أشد العذاب.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾

وجه الربط بيان دحوض الحجة؛ لأن الله لما أنزل الكتاب المتضمن للبينات والحجج والميزان الذي هو الشرع الذي يوازن به الحقوق: العدل أو العقل أو الأحكام، كان المتمسك بالباطل مستحقًا للتخويف بعقاب الآخرة، فيناسب ذكر الساعة أيضًا، وقربها قرب وقوعها،

وتذكيره لإرادة [ ] [1] أو ذات قرب، وقيل: هو الإلهام اتخاذ الميزان، أو أنه نزل بعينه [2] في زمن نوح عليه السلام، فينبغي أن يتبع الكتاب، ويعمل بالشرع، ويواظب عليه قبل أن يفاجئ الساعة التي توزن فيها الأعمال، ويجازى عليها.

واستعاجلهم على سبيل الاستهزاء كان بعد تهديد النبي عليه السلام، كانوا يقولون: متى تقوم؟! وليتها قامت، أو كانوا يريدون تعيين زمانها ليحجوا على النبي عليه السلام على فرض التأخير.

وأما الذين آمنوا بقيام الساعة فإنما يخافون مجيئها؛ لعلمهم بأنه لا ينفعهم التوبة، ويلحق المقصر في الطاعة العذاب، وهم يعلمون أنها ثابتة آتية لا محالة.

والمماراة: الملاجة[3]، أو المراد الذين يدخلهم الريبة، أي: الشك في وقوعها فيمارون فيها، وينكرونها، وقيل: من مريت الناقة، إذا مسح ضرعها بشدة؛ لأنه لا بد من جري كلام بين المتخاصمين فيه شدة.

ووصف الضلال بالبعد أي: عن الحق.

قرره في "المفاتح": بأن ذلك لاستلزامه نسبته الظلم إلى الله بترك استيفاء حق المظلوم من الظالم[4]، وادعى في "الأنوار": بأن ذلك بسبب أن البعث أشبه الغائبات إلى المحسوسات، فمن لم يهتد إلى تجويزها فهو أبعد إلى الاهتداء إلى ما وراءه. هذا تمام كلامه [5]، ومراده أنه

---

(١) في (ح) بياض بمقدر كلمة، وفي بقية النسخ بما فيها الأصل لا يوجد بياض، والعبارة تشعر أن هناك سقطًا، وفي رسالة اللباب: (ذات قرب على النسب). رسالة اللباب ٣٠١/١ [تحقيق: إبراهيم الحكمي].

(٢) أي: عين الميزان.

(٣) المماراة: المجادلة على مذهب الشك والريبة، ينظر: تهيب اللغة (٢٠٤/١٥)، ولسان العرب (٢٧٨/١٥)، مادة (مرا).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٣٨).

(٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص٦٤١).

لما كان إحياء الأرض بالنبات بعد نزول المطر، وتولد الحيوانات عند اعتدال الهواء، أمرًا محسوسًا، وقد أشار الحق سبحانه إلى ذلك في مواضع، وكذلك حالة النوم واليقظة بالرجوع إلى ما كان ما يدرك بالحس، جعله أشبه المحسوسات وإن كان متوقفًا على تصرف العقل المشترك بينه وبين الممكنات.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ٢٠﴾

أي: نخصهم بصنوف البر والإحسان التي لا يبلغ كنهها الأوهام، ويعجز عن دركها الأفهام، من: الحياة، والعقل، والفهم، هذه النعم وإن كانت شاملة للكل، لكن قد يختص بعضهم بنوع لا [٧٨٤/أ] يناله الآخر، وإن نال الآخر ما لم ينله هذا، لكن قدر رزق كل منهما ما لم يرزق الآخر، ومنها إنزال الكتاب المشتمل على هذه الدلائل.

﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ﴾ أن يرزقه بما تقتضيه الحكمة من أنواع الإحسان، وهو الظاهر القدرة على ما يريده، الغالب الذي لا يُمنع من مراده.

ولما كان ثواب الآخرة حاصلًا بعمل الدنيا شبَّهه بالزرع الذي لا يحصل إلا بإلقاء البذر في الأرض، فيكون استعارة؛ إذ العلاقة المُشَابَهة. وقيل: التقدير بحرثه الآخرة، أي: بعمله، أو حرث خيرها.

والزيادة في الحرث بإعطاء الثواب زائدًا على عمله من عشرة لواحد، إلى سبعمائة فصاعدًا. وقيل: الزيادة في الدنيا الغنيمة. والمنافق حين أخذ الغنيمة فهو من لا نصيب له في الآخرة، ومن اقتصرت همته على طلب الدنيا نعطيه بما قسمنا له، ولا نصيب له في الآخرة؛ إذ لا قصد له فيها، فإن لكل امرئ ما نوى.

ومن جملة ازدياد طلب الآخرة أنه كلما باشر صالحات الأعمال ازدادت رغبته فيها، فيكون ابتهاجه أكثر وزيادته أعظم. وقيل: نزد في توفيته له.

و﴿ مَن ﴾ للتبعيض، وما روي أنه منسوخ بقوله: ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ ﴾ [الإسراء: ١٨] قُدِح فيه بأنه خبر، والنسخ وإن كان الأصل، لكن لا من جهة أنه خبر، وروي عنه [(١)] أنها ثابتة[(٢)].

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ أَمْ ﴾ منقطعة، أي: بل ألَهم شركاء؟ والهمزة تعديل للتقرير، ومن قال: إنها متصلة فلأن التقدير على زعمه: أفتقبلون ما وصى به نوحًا أم لهم آلهة شرعوا لهم بالتزيين ما لم يأذن به الله؛ كالشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا.

وشركاؤهم: الشياطين، أو الأوثان كما سبق. وإضافتها إليهم لاتخاذهم إياها شركاء. وإسناد الشرع إليها لأنهم لما صاروا سبب ضلالهم فكأنهم افتتنوا بما تدينَّوا به، أو للتشبيه بمن سن شرعًا.

وكلمة الفصل: القضاء بتأخير العذاب، أو الوعد بأنه يكون يوم القيامة، أي: لولاها لفَصَل المؤمنين والكفرة، أو بينهم وبين شركائهم، بتعجيل العقوبة.

---

(١) هذا القول قال به قتادة. ينظر: نواسخ القرآن (١/٢٢٠).

(٢) فيه قولان:

القول الأول: أنه منسوخ بقوله: ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء: ١٨]، رواه الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال مقاتل.

القول الثاني: أنه محكم؛ لأنه خبر، قاله قتادة. ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص٦٥٤)، نواسخ القرآن (١/٢١٩-٢٢٠).

ويقرأ: ﴿أَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بفتح ﴿أَنَّ﴾[1] عطفًا على كلمة الفصل، أي لولا كلمة الفصل وتأخير عذاب الظالمين إلى الآخرة، فإن الأليم غالب في عذابها، لقضي بينهم في الدنيا.

و﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: في القيامة خائفين من جزاء أعمالهم السيئة، وإنَّ وبالها لاحق بهم، خافوا أو لا، كالبيان لذلك، وحكم أضدادهم الجامعين بين عمل القلب والجوارح من الإيمان والطاعة أنهم في رياض الجنان، وهي أطيب بقاعها وأنزهها، لهم جميع ما يتمنونه ويشتهونه.

و﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ منصوب بمتعلق ﴿لَهُم﴾ لا بـ ﴿يَشَآءُونَ﴾، والروضة وجه التفضل دون الاستحقاق.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾

أي: ذلك الثواب يبشر الله به عباده، فحذَف الجار ثم العائد، وإن كان المراد مصدره فالتقدير: ذلك التبشير.

وقرئ ﴿يَبْشُرُ﴾ من أبشره[2].

وإعادة البشارة على وجه التعظيم، وشهادة ذي العظمة والكبرياء بكثر ذلك الفضل يدل على عظمته.

---

(١) قراءة شاذة، قرأ بها: الأعرج، ومسلم بن جندب، وهرمز. ينظر: شواذ القرآن لابن خالويه (ص١٣٥)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ٢٠)، البحر المحيط (٧/ ٤٩٣).

(٢) قراءة: ابن كثير، وأبي عمرو ، وحمزة، والكسائي. ينظر: حجة القراءات (١/ ٦٤٠)، تحبير التيسير (ص٥٤٥).

ثم أمر النبي ﷺ أن يقول: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾على التبليغ نفعًا عاجلًا كيلا يتصور الكفرة أن المقصود منه المال والجاه، ولا يشكل بطلب المودة في القربى؛ لأن هذا من باب:

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفَهم *** بهنَّ فلولٌ من قِراع الكتائبِ[1]

فكأنه قال: لا أطلب أجرًا إلا هذا، وهو ليس أجرًا دنيويًا؛ لأن المودة بين المسلمين أمر ديني، قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [التوبة: ٧١]. وإن جعل الاستثناء منقطعًا فلا إشكال؛ لأنه تم الكلام بقوله: ﴿أَجۡرًا﴾، ثم قال: لكن أذكركم قرابتي منكم؛ لأنه عليه السلام كان واسط النسب في قريش، ما من بطن من بطونهم إلا وله قرابة، فكأنه قال: أنتم قومي، وأحق من يجيبني، فإن أبيتم فاحفظوا حق القربى. هذا ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما[2]، وروي عنه أن الأنصار جمعوا له مالًا لكثرة نوائبه وقلة ذات يده، فرده عليهم، ونزلت الآية[3]. وعن الحسن: أن المراد أن تؤدوا إلى الله فيما يقربكم إليه بالعمل الصالح [4]. فعلى الأول: القربى القرابة التي بمعنى الرحم، وعلى الثاني: بمعنى الأقارب، وعلى الثالث: من القربى والتقرب، والتقدير على الأولين: إلا المودة ثابتة في ذوي القربى، متمكنة في أهلها، أو في حق القرابة ومن أجلها كما جاء في الخبر: ((**الحب في الله والبغض في الله**))[5]، روي أنها

---

(١) البيت من بحر الطويل، للنابغة الذبياني، ينظر: ديوان النابغة الذبياني (ص١٣).

(٢) ينظر: النكت والعيون (٥/ ٢٠١-٢٠٢).

(٣) ينظر: أسباب النزول للواحدي (ص ٣٧٤)، وأخرج الطبراني في المعجم الكبير (٣٣/١٢) الحديث رقم: (١٢٣٨٤)، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت الأنصار فيما بينهم: لو جمعنا لرسول الله ﷺ مالًا، فبسط يده لا يحول بينه وبين أحد، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا أردنا أن نجمع لك من أموالنا، فأنزل الله الآية. وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣/٧)، والسيوطي في لباب النقول (ص١٨٨).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٩١/٣)، وابن جرير في جامع البيان (٢٦/٢٥).

(٥) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٢/ ١٥٦)، برقم: ٢٧٨٧، عن أنس: (الحب في الله فريضة والبغض في الله فريضة).

=

لما نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك من هؤلاء؟ قال: ((**علي وفاطمة وابناهما**))[1]، وروى في "الكشاف": ألا إنَّ من مات على حب آل محمد مات مغفورًا، ألا من مات على حب آل محمد مات تائبًا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنًا متكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشَّره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح في قبره [٧٨٤/ب] بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار الملائكة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله،

=

وأبو داود ٤/٢٢٠، كتاب: السنة، باب: الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، الحديث رقم: (٤٦٨١)، عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**)). قال الألباني: "صحيح". السلسلة الصحيحة (١/ ٧٢٨).

والترمذي ٤/٦٧٠، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، الباب: الأخير، الحديث رقم: (٢٥٢١)، عن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: ((**من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، وأنكح لله، فقد استكمل إيمانه**)) قال: أبو عيسى: "هذا حديث حسن"، قال الألباني: "حديث حسن". السلسلة الصحيحة (٤/ ٦٧٠).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢٧٧)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/٤٧) برقم: (٢٦٤١)، عن ابن عباس رض الله عنهما.

قال ابن كثير: "وهذا إسناد ضعيف، فيه مبهَم لا يعرف، عن شيخ شيعي محترق، وهو حسين الأشقر، ولا يقبل خبره في هذا المحل، وذكر نزول الآية في المدينة بعيد؛ فإنها مكية، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية فإنها لم تتزوج بعلي رضي الله عنه إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة". تفسيير القرآن العظيم (٤/١٢٢).

وقال الهيثمي: "رواه الطبراني من رواية حرب بن الحسن الطحان، عن حسين الأشقر، عن قيس بن الربيع، وقد وُثِّقوا كلهم، وضعفهم جماعة، وبقية رجاله ثقات". مجمع الزوائد (٧/٢٢٩).

وقال الألباني: "باطل" السلسلة الضعيفة (١٠/ ٤٧٨)، برقم: (٤٩٧٤).

ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرًا، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة[1].

قال في "المفاتح": وأنا أقول: آل محمد الذين أمرهم إليه، فكل من كان مآل أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعليًا والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين النبي ﷺ أشد التعلقات، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل. وقيل: هم الأقارب، وقيل: الأمة. والخبر السابق حين سئل القرابة دليل على إرادة الأربعة. نعم، لا يخفى أن أولادهم يدخلون فيها بالاعتبارات الثلاث[2].

ولقائل أن يقول: هذا الخبر الذي ذكره مشابه لما ورد في الصحاح أن ((**من أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم**)) [3]، وقوله ﷺ لبعض الصحابة: ((**لا تبغضني فتخرج عن الإيمان**)) ، قال: كيف أبغضك؟ قال: ((**تبغض العرب**))[4]. وإذا كان هذا هو

---

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٨/ ٣١٤)، قال الحافظ ابن حجر : "الثعلبي: أخبرنا عبد الله ابن محمد بن علي البلخي، حدثنا يعقوب بن يوسف بن إسحاق، حدثنا محمد بن أسلم، حدثنا يعلى بن عبيد عن إسماعيل بن قيس عن جرير- بطوله، وآثار الوضع عليه لائحة، ومحمد ومن فوقه أثبات، والآفة فيه ما بين الثعلبي ومحمد". الكاف الشاف (ص ١٤٥)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (١٠/ ٤٢٤): "باطل موضوع".

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٤٣).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/٤٥٥ عن عبدالله بن عمر وجاء في آخره: ((**فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم**)) ، وعلق عليه الألباني بقوله: "حديث منكر" السلسلة الضعيفة (١/ ٥١٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٤٤٠، برقم: ٢٣٧٨٢، من حديث سلمان ﷺ قال: قال لي رسول اللَّهِ ﷺ: ((**يا سلمان، لا تبغضني فتفارق دينك**)) ، قال: قلت: يا رسول الله، وكيف أبغضك وبك هدانا؟ الله قال: ((**تبغض العرب فتبغضني**)).

والترمذي ٥/٧٢٣، كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب في فضل العرب، بلفظه، وقال: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي بدر شجاع بن الوليد ، وسمعت محمد ابن إسماعيل، يقول أبو ظبيان: لم يدرك سلمان، مات سلمان قبل علي".

=

لمطلق العرب، فكيف بأهل بيته؟! ومن هنا يظهر أن جميع ما ذكر في هذا الحديث ممكن حمله على ظاهره باعتبار أن محبتهم عنوان محبة الرسول ﷺ، وبغضهم عنوان بغضه، وعليه قوله عليه السلام: ((**فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها**))[1].

هذا وإن محبة النبي ﷺ مما لا يخفى، وقد قال سبحانه: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، إلى غير ذلك من المقتضيات، والعدول عن مودة القربى إلى ذكر ﴿فِى﴾ لإفادة كونهم مكانًا للمودة، ومن قولهم: لي في آل فلان محبة وهوى.

والمقصود أنه يلزم من كونها مكانًا لها، ولا ينعكس.

واقتراف الحسنة اكتسابها، والسياق يشعر بإرادة محبة آل الرسول عليهم السلام. وقيل: المراد مودة أبي بكر لهم، وقد نزلت في ذلك[2].

و﴿فِيهَا﴾ للحسنة، أي: يضاعف له الثواب.

ويقرأ: ﴿يَزِدْ﴾[1] على أن الفاعل هو الله، ويقرأ: ﴿حسنى﴾[2]؛ وذلك لأن الله يغفر الذنوب، ويثيب على الطاعة من غير نقصان.

= وعلق عليه الألباني بقوله: "ضعيف الإسناد" السلسلة الضعيفة (٥/ ٤٤).

(١) أخرج البخاري في صحيحه ٣/١٣٦٠، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب قرابة رسول الله ﷺومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ وقال النبي ﷺ: ((**فاطمة سيدة نساء أهل الجنة**)) ، برقم: ٣٥١٠، عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: ((**فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني**)).

ومسلم في صحيحه ٤/١٩٠٣، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام، برقم: ٢٤٤٩، عن المسور بن مخرمة قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: ((**إنما فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها**)).

(٢) ذكره الزمخشري، والبيضاوي. ينظر: الكشاف (٤/ ٢٢٥)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص٦٤٢)، ولم أقف عليه.

وإطلاق الشكور مجاز لعلاقة المشابهة.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ أَمْ ﴾ منقطعة، أي: بل أتقولون: إن محمدًا ﷺ يقول على الله في دعوى الرسالة والقرآن؟! فقال الله تعالى تكذيبًا لهم: إنه لو فرض الافتراء لم يتصور إلا ممن ختم على قلبه، فلم يعرف الله حتى يجترئ عليه، فأما من كان له بصيرة يعرف بها عظمة الله لم يتصور ذلك، ثم إن الختم لا يكون إلا بمشيئة الله، ومحال تعلقها بالنسبة إلى من شرح الله صدره بالأنوار القدسية، وهو أعظم الأنبياء والرسل، في غاية الكمالات النفسية.

وقيل: معنى ﴿ يَخْتِمْ ﴾: يمسك القرآن والوحي على قلبك، وهو أخص من الأول، أو أنه يربط بالصبر عليه بحيث يتحمل أذاهم من غير مشقة.

وقوله: ﴿ يَمْحُو اللهُ ﴾ إلى آخره تقرير لنفي الافتراء على طريقة البرهان؛ لأن الافتراء أعظم الأباطيل، وعادته سبحانه جارية بمحو الأباطيل، فلو كان افتراء لمحاها، وكذا أثبت الحق بكلمته التي هي الوحي، أو قضائه، أو لسبق وعده سبحانه بهما، أو بقضائه الذي لا مرد له.

=

(١) قراءة عبد الوارث عن أبي عمرو، وزيد بن علي، وأحمد بن جبير عن الكسائي. ينظر: شواذ القرآن لابن خالويه (ص١٣٥)، البحر المحيط (٧/ ٤٩٤).

(٢) من غير تنوين، قراءة شاذة لعبد الوارث عن أبي عمرو. ينظر: شواذ القرآن لابن خالويه (ص١٣٥)، البحر المحيط (٧/ ٤٩٤).

وفي بعض المصاحف: ﴿يمح﴾ بدون الواو [1]؛ لموافقة اللفظ كما هو في ﴿يَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ [الإسراء: ١١]، وليس ذلك للجزم جوابًا للشرط. وما قيل: إن (يحق) استئناف فغير قوي؛ لصحة العطف.

وفي ذكر العلم بذات الصدور تهديد لمن نسب الافتراء إلى النبي ﷺ، وإبطال لكلامه؛ لأنه لو علم أنه يفتري لعاجله بالعقوبة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾

قبول توبته بمقتضى الوعد، ولئلا يكون إقناطًا له وإغراء بالعصيان، وإذا قبلها عفى عن سيئاته، وهي شاملة لصغيرها وكبيرها لمن شاء، ولعل العطف للإشعار بجواز العفو من غير توبة؛ لأنه لو قيد بها كان تكرارًا، ولا مدح فيه أيضًا على رأي من يقول: يجب على الله العفو بعد التوبة[2].

وفائدة العلم بالأفعال التنبيه على أن التوبة ينبغي أن تعم جميع المعاصي، ويحتمل أن يكون من عمل القلب والجوارح، قولية كانت أو فعلية. وقيل: ليعلم أنه لا يقبل إلا التوبة النصوح، وهي المشتملة على عزم أن لا يعود إلى الذنب، وعن علي رضي الله عنه: هو اسم يقع على ذلك، والإتيان بما فات من الفرائض، ورد المظالم، وإذابة النفس في الطاعة كما ربيت في

(١) قال ابن حيان: " وكتب (ويمح) بغير واو، كما كتبوا (سندع) بغير واو، اعتبارًا بعدم ظهورها، لأنه لا يوقف عليها وقف اختيار ، ولما سقطت من اللفظ سقطت من الخط". البحر المحيط (٧/ ٤٩٥).

(٢) القول بالإيجاب على الله بمقتضى العقل من عقائد المعتزلة، وهو باطل، وأهل السنة والجماعة منعوا أن يوجب العقل على الله تعالى شيئًا، ولكن لم يمنعوا أن يوجب الله على نفسه بعض الأمور التي يقتضيها كماله، والتي أخبر أنه أوجبها على نفسه. ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣١٠).

المعصية، وإذاقتها مرارة الطاعة كما ذاقت حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحك به[1].

وقرئ: ﴿يَفْعَلُونَ﴾ بالياء[2]، ويعلم أنه لا يتجاوز عن السيئات إلا عن إتقان[3].

ومعنى يستجيبهم: يجيبهم إلى ما يدعونه، وما قيل: أصله: (للذين)، فحذف اللام يناسب هذا القول، وهو مثل: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣].

والإثابة على الطاعة كالدعاء بطلب ما يترتب عليها، ومنه قوله عليه السلام: ((**أفضل الدعاء الحمد لله**))[4]، وهو زيادة من فضله بعد القبول والعفو، أو يجيب بعضهم بعضًا، فإنه جاء استجاب بمعنى أجاب، نحو استعظم، وزيادة السين للتأكيد، أو المراد: [٧٨٥/أ] إجابة الله إذا دعاهم إلى الطاعة، ويكون محل ﴿الَّذِينَ﴾ رفعًا، وعلى الأول نصبًا.

---

(١) ينظر: الكشف والبيان (٨/ ٣١٥)، الكشاف (٤/ ٢٢٧).

(٢) قرأ بذلك من السبعة: ابن كثير، ونافع، وعاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر، وأبو عمرو. وأبو جعفر ويعقوب من العشرة. ينظر: السبعة في القراءات (١/ ٥٨١)، حجة القراءات (١/ ٦٤١)، البحر المحيط (٧/ ٤٩٥)، تحبير التيسير (١/ ٥٤٥).

(٣) قال البيضاوي: "فيجازي ويتجاوز عن إتقان وحكمة". أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص٦٤٢).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/ ١٢٤٩، كتاب: الأدب، باب: فضل الحامدين، برقم: (٣٨٠٠)، والترمذي في سننه ٥/ ٤٦٢، كتاب: الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب: ماجاء أن دعوة المسلم مستجابة، برقم: (٣٣٨٣)، والنسائي في السنن الكبرى ٦/ ٢٠٨، ثواب من يأوي إلى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله حين يأخذ مضجعه، أفضل الذكر والدعاء، برقم: (١٠٦٦٧)، كلهم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله**)). قال أبو عيسى: "هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم، وقد روى علي بن المديني وغير واحد عن موسى بن إبراهيم هذا الحديث ". وقال الألباني: "حسن". السلسلة الصحيحة (٣/ ٤٨٤).

والزيادة لمن عمل صالحًا ما يعطيهم في الجنة زيادة على مسئولهم، وعن ابن عباس: أن يشفعهم في إخوان إخوانهم بعد أن شفعهم في إخوانهم[1]، وهو قريب ما روي عن النبي ﷺ: ((**الشفاعة لمن وجبت له النار**)) [2]، أو يجعل محبة في صدورهم، أو يجمع لهم بين نعمتي الدارين.

والعذاب الشديد: عذاب النار، بدل ما للمؤمنين من الثواب.

﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٢٨ ﴾

أي: لو أغنى جميع عباده لطلبوا التجاوز عن الاقتصاد فيما يتَّجِرونه كمية أو كيفية، فيصبح الحَمل على تكبروا أو أفسدوا في الأرض بطرًا، أو استولى بعضهم على بعض واستعلى عليه، وهذا في الغالب، وكذا فيما قال:

الظلم من شيم النفوس فإن تجد *** ذا عفة فلعلة لا يظلم[3]

﴿ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ ﴾ بتقدير اقتضته م؛شيئته لأنه سبحانه يعلم أحوال العباد خفياتها وجلياتها، فيقدر لكلٍ ما يناسب شأنهم، وما روي نزولها في أهل الصُفَّة لما تمنوا من النبي ﷺ[4]، أو العرب كانوا إذا خصبو تعادوا[1]، ومنه قوله:

---

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٣١٧/٨)، وأورد البغوي في معالم التنزيل (١٩٤/٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠١/١٠) برقم: (١٠٤٦٢)، والأوسط (٥٣/٦) برقم: (٥٧٧٠)، عن عبدالله بن مسعود ﷺ، قال الهيثمي: "رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه إسماعيل بن عبدالله الكندي، ضعفه الذهبي من عند نفسه، فقال: أتى بخبر منكر، وبقية رجاله وثِّقوا" مجمع الزوائد (١٣/٧).

(٣) البيت من بحر الكامل، وهو للمتنبي، من قصيدة مطلعها:

لهوى النفوسِ سريرةٌ لا تعلمُ *** عَرَضًا نظرتُ وخِلْتُ أنِّي أسلمُ

ينظر: ديوان المتنبي (ص٥٧٠).

(٤) قال ابن جرير: "إنها نزلت في أصحاب الصُفَّة تمنَّوا الغنى". جامع البيان (٣٠/٢٥).

قوم إذا نبت البقل بأرضهم *** نبتت عداوتهم مع البقل[٢]

لا ينافي إرادة العموم.

ومن جملة إنزال الرزق إنزال الغيث، وإنما خص بالمطر النافع لأنه يغيث.

وقرئ: ﴿ ينزِّل ﴾ بالتشديد[٣]، وبعد اليأس يكون الفرج به أكثر، وبسببه ينشر الله رحمته ونعمته في السهل والجبل، وذلك لأنه سبحانه هو المتولي لأمر العباد، المحمود لنعمه وآلائه كالمطر العام منافعه للإنسان وسائر الدواب.

ولا استدلال للمعتزلة على أن البغي غير مراد لله؛ لأنه إذا وقع فلا بد له من فاعل، فإن كان العبد فلا بد لفاعل لميله إليه، ويعود الكلام في ذلك المحدث، ويتسلسل، فلا بد من الانتهاء إلى الله[٤].

وأورد الجبائي[٥] على نفسه أنه حصل البسط والبغى لبعض العباد، وأجاب بأن حال ذلك البعض كان معلومًا أنه يبغي، بسط عليه أو لم يبسط [١]، قال في "المفاتح": وهو

=

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦/ ٢٧)، أنوار التنزيل وأسرار التنزيل (ص٦٤٣)، ولم أقف عليه في أسباب النزول.

(٢) البيت للحارث بن دوس الإيادي، يخاطب المنذر بن ماء السماء، ويروى:

قَوْمٌ إِذا نَبَتَ الرَّبِيعُ لَهُمْ *** نَبَتَتْ عَدَاوتُهم مَعَ البَقْل

ينظر: لسان العرب (١١/ ٦١)، مادة: (بقل).

(٣) قرأ بذلك: نافع وابن عامر وعاصم من السبعة، وأبو جعفر من العشرة. ينظر: حجة القراءات (٥٦٧/١)، تحبير التيسير (٢٩٢/١)، إتحاف فضلاء البشر (٤٩٢/١).

(٤) المعتزلة في باب القدر قدرية، فهم يثبتون الأمر والنهي وينفون القدر، وبذلك لا يثبتون إرادة الله وخلقه لأفعال العباد، بل يقولون: إن العبد يخلق أفعاله طاعات ومعاصي، وبذا يستحق الثواب والعقاب، وهذا من أقبح الاعتقاد. ينظر: شرح الطحاوية (ص٢٢٥).

(٥) أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي، المتكلم المشهور، كان هو وأبوه من كبار المعتزلة، ولهما مقالات على مذهب الاعتزال، ولد سنة سبع وأربعين ومائتين. وتوفي يوم الأربعاء لاثنتي

=

فاسد؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧]، وبالعقل أيضًا يعلم أن المناهي لا يمكن ارتكابها إلا بآلاتها[٢]، ولم يجب عنه.

ولقائل أن يجيب عنه بأن المنفي بسط الرزق لجميع العباد، ولا يلزم منه نفي البسط لكل فرد.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ۝٢٩ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٣١﴾

أي: ومما يدل على أن الله سبحانه صانع حكيم ذوات السموات وصفاتها.

ومعنى ﴿بَثَّ﴾ فرَّق، وهو شامل للجن والإنس، والملائكة أيضًا إن حمل الدبيب على الحركة، أو يكون من باب إضافة الأمر إلى جماعة والمتصف به واحد، كقولهم: بنو فلان فعلوا كذا، والفاعل واحد منهم، فإذا كانت الدابة في أحديهما صح أن يقال: إنها منهما كما قيل: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، وقيل: لا يبعد أن يخلق الله في السموات خلقًا لهم مشي كمشي الإنسان، أو يكون للملائكة مشي لما ثبت أنهم يتمثلون على شكل الإنسان، كما رأى النبي ﷺ جبريل على صورة دحية[٣].

= عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد. ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ١٨٣).

(١) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٤٦).

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/١٤٦-١٤٧).

(٣) دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبيّ، صحابيّ مشهور، أوّل مشاهده الخندق وقيل أحد، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته، وقد نزل دمشق وعاش إلى خلافة معاوية. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٣٢١-٣٢٣).

و﴿إِذَا﴾ تدخل على المضارع، نحو: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل: ١]، والمعنى: أن الله خلقها متفرقة لمصلحة رآها، ولو شاء لخلقها مجتمعة، وإذا شاء جمْعَهم قَدِر عليه، كما في الحشر والمحاسبة، ولا حاجة إلى التقييد بالعقلاء؛ لأن القدرة شاملة للكل. نعم، الوقوع يختص بهم.

واستدل على حدوث المشيئة نظرًا إلى ﴿إِذَا﴾. وأجيب بأنه يلزم أن القدرة أيضًا محدثة لتعلق ﴿إِذَا﴾ بالكل.

ولقائل أن يقول: لا حاجة إلى الجواب الإلزامي؛ لأن المراد تعلق القدرة، والمصيبة الحالَّة المكروهة نحو الألم والمرض والقحط والغرق وغيرها، ثم الآية ظاهرة في أنها أجزية الذنوب، وهذا المعنى روي عن النبي ﷺ[(١)]، وهي حجة على من أنكر ذلك لاشتراك الصالح والمذنب فيه، وقوله عليه السلام: ((**أشد الناس بلاء الأنبياء، فالأمثل، فالأمثل**)) [(٢)]، ويمكن أن يجاب عن متمسكه بالتخصيص بأن يقال: ما يصيب غير المجرمين فبأسباب أخر، وقد لا يعاجل استدراجًا لزيادة العذاب، عن الحسن: إقامة الحدود على المعاصي [(٣)]، ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ بأن لا يجعل عليه حدًّا.

ومن قال بالتناسخ استدل بها؛ لأنه لو لم يكن للصبيان والبهائم حالة اكتسبوا فيها الذنوب لما أصابهم.

---

(١) ينظر: الدر المنثور (٧/ ٣٥٥)، فقد ساق جملة من الأحاديث والآثار عند تفسره لهذه الآية.

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٣٥٢/٤)، كتاب: الطب، باب: أي الناس أشد بلاء، برقم: (٧٤٨٢) بسنده عن أبي عبيدة بن حذيفة عن عمته قالت: أصاب رسول الله ﷺ حمى شديدة، أمر بسقاء فعلق بشجرة، ثم اضطجع تحته فجعل يقطر على فؤاده، قال: ((**إن أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل**)).

والطبراني في المعجم الكبير (٢٤٤/٢٤)، برقم: (٦٢٦)، بنحوه، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٦)، برقم: (٥٤٦٣).

وقال الألباني: "صحيح". السلسلة الصحيحة (٢٧٣/١).

(٣) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/ ٧٨).

والجواب: أن الخطاب مع البالغ، وأما ما يصيب الصبيان فمثوبة لهم، وقيل: لآبائهم، ولا جواب في الحقيقة إلا بأنه لا يُسألُ عمَّا يفعل، توفيقًا.

والفاء تفيد السببية، وما قرئ بغيرها[1] فللاكتفاء بالباء لأنها للسببية.

ويعفو الله عن كثير من الذنوب، فلا يعاقب عليها؛ لسعة مغفرته أمَّن الناس، وعن علي ﷺ يرفعه: ((**من عفي عنه في الدنيا عفا عنه في الآخرة، ومن عوقب في الدنيا لم يكن عليه في الآخرة**))[2].

وكون المذنبين غير معجزين المراد به أنه لا يفوتهم المصائب التي هي أجزية ذنوبهم، وما لهم غير الله من يحرسهم عنها، ولا من يدفع عنهم بقوة، أي: لا يدفع عنهم بلطف، ولا بقهر.

ووجه الربط بتلك الآية [٧٨٥/ب] أن القادر على ذلك قادر على مجازاتهم على الذنوب.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾

أي: من جملة دلائل كمال القدرة والحكمة إجراء السفن التي هي كالجبال في البحر، جمع جارية.

---

(١) أي: بالباء، وقرأ بذلك: نافع، وأبو عامر، وابن جعفر. ينظر: السبعة في القراءات (١/٥٨١)، حجة القراءات (١/٦٤٢)، تحبير التيسير (١/٥٤٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ١/٩٩، برقم: (٧٧٥)، والبزار في المسند ٢/١٢٥، برقم: (٤٨٢)، والحاكم في المستدرك ٢/٤٨٣، برقم: (٣٦٦٤)، كلهم عن أبي جحيفة عن علي ﷺ قال: قال رسول الله: ﷺ ((**من أذنب في الدنيا ذنبًا فعوقب به فالله أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنبًا في الدنيا فستر الله عليه وعفا عنه، فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه**)) ، واللفظ لأحمد. قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

وقرئ: ﴿الجوار﴾[1]، ومنه: ﴿حَمَلْنَكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]. والأعلام: كالجبال، ومنه قول الخنساء في مرثية أخيها:

وإنَّ صخرًا لَتأتمُّ الهداةُ به *** كأنَّه عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ[2]

ولما سمع النبي ﷺ هذا البيت قال: ((**قاتلها الله، ما رضيت بتشبيهها بالجبل حتى جعلت على رأسه نارًا**))[3].

ووجه الدلالة من خلق الله الخشب على وجه لا يرسب مع ما عليه من الثقل، وإجراء الرياح الذي لا محرك لها إلا الله، وما يتضمن من المنافع من نقل الأمتعة المختصة ببعض الجوانب، قد سبق في النحل طرف منه[4].

ولما بين كمال القدرة عقبه بما يقتضي أن لا يعبد غيره؛ لأنه الإله النافع لما سبق والضار؛ لأنه إن شاء أسكن فبقيت الجوار واقفة، والرواكد: الثوابت على ظهر الماء، وإن شاء أرسل عاصفًا فهلكت الناس بإحدى البليتين، بسبب ذنوب اكتسبوها.

وقرئ: ﴿يَشَأْ﴾ بسكون الهمز علامة للجزم، وبغير همز[1]، و﴿الرياح﴾[2].

---

(١) قرأ بحذف الياء وصلًا ووقفًا: ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف . ينظر: السبعة في القراءات (١/٥٨١)، تحبير التيسير (١/٥٤٦).

(٢) البيت من بحر البسيط، وهو للخنساء تماضر بنت عمرو بن الحارث السلمية ترثي أخاها صخرًا، ويروى:

أغرُّ أبلجُ تأتم الهداة به *** كأنه عَلَمٌ في رأسه نار

ينظر: ديوان الخنساء (ص٣٨٦).

(٣) لم أقف عليه، وقد أورده الرازي في مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٥٠) وعنه نقله المؤلف، وفي التعازي والمراثي لأبي العباس الثمالي نسبه إلى عمر ﷺ حيث قال: " فقال عمر بن الخطاب ﷺ: أما رضيت أن تجعليه علمًا حتى جعلت في رأسه نارًا، ذاك رسول ﷺ". التعازي والمراثي (١/٦٤).

(٤) عند تفسير الآية (١٤) من سورة النحل.

وكون الآيات مختصة بالصبَّار على ما قال في "الأنوار": لأنه الذي وكل همته، وحبس نفسه على النظر في آيات الله، والتفكر في الآية. وقيل: لكل مؤمن؛ لقوله ﷺ: ((**الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر**))[٣][٤].

وقال في "المفاتح": من صبر على البلاء وشكر على النعماء لا يكون من الغافلين [٥]، فتفكر في ذلك.

ولقائل أن يقول: لعل المراد الإشارة إلى أن من شكر لِلَّه وصبر على بلائه فاعترف بصانع قادر عليهما، فكما أدرك ذلك ورتب عليه الشكر والصبر؛ فلذلك تفكر في هذه الآية، ويعلم مقاصدها دون المُعرض عن الفكر، لا سيما من ينكر الإسناد إليه القائل بمجرد الطبيعة.

وأصل التقدير في ﴿أَوَ يُوبِقْهُنَّ﴾: أو يرسلها فيوبقهن؛ لأنه في مقابلة ﴿يُسْكِنِ﴾، فاقتصر على المقصود كما في ﴿يَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾، إذ المعنى: أو يرسل العواصف فيوبق قومًا بذنوبهم، ويعف عن ناس منهم فينجون، وهو عطف على ﴿يُسْكِنِ﴾.

---

(١) قرأ بدون همز: الأصبهاني عن ورش، وأبو جعفر، ووقفًا حمزة، وهشام بخلفه، وبالهمز الباقون. ينظر: التيسير في القراءات السبع (١/٣٧)، إتحاف فضلاء البشر ١/٧٦، الميسر في القراءات الأربع عشر (ص٤٨٧).

(٢) قرأ بذلك نافع وأبو جعفر. ينظر: السبعة في القراءات (ص ١٧٢-١٧٣)، النشر في القراءات العشر (ص٢٢٣-٢٢٤).

(٣) أخرجه الخرائطي في فضيلة الشكر (ص ٣٩) برقم: (١٨)، والبيهقي في الشعب (١٢/١٩٢) برقم (٩٢٦٤)، والديلمي في الفردوس (١/١١١)، كلهم عن يزيد الرقاشي عن أنس ﷺ. قال الألباني: "ضعيف جدًا". السلسلة الضعيفة (٢/ ٨٩)، ضعيف الجامع (ص٣٣٩).

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص٦٤٣).

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٥٠).

ويقرأ: ﴿ يَعْفُو ﴾ على الاستئناف [1]، ﴿ وَيَعْلَمَ ﴾ عطف على علة محذوفة -وهو في القرآن كثير- مثل: لينتقم منهم، ويعلم المجادلون [2]، أو يكون عطفًا على الجزاء، فيكون نصبه نصب ما يقع جوابًا للأشياء الستة لأنه أيضًا غير واجب.

ويقرأ بالجزم[3]، فيكون عطفًا على ﴿ يَعْفُ ﴾، ويصير التقدير: أو يجمع بين الإهلاك والإنجاء.

والمحيص: المحيد، أي: من العذاب إذا وقفت السفن أو عصفت الرياح، وعلق الفعل عن الجملة نظرًا إلى حرف النفي.

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

لما ذكر دلائل كمال قدرة الصانع نفَّر عن الدنيا للرغبة فيما عند الله، لا سيما والذي لا يقبل الدليل هو المنهمك في الدنيا بسبب الرئاسة، وإذا حقرت في عينه انتفع بالدلائل، أي: أموالكم التي هي المنافع الدنيوية إلا مدة حياتكم، فيكون سريع الانقراض.

﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ من المنافع الأخروية المعدة لمن آمن بالله، ولا يتوكل إلا على الله وفضله، ﴿ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾، وصريح العقل من ترك الباقي للفاني، وعطف الصفات الأخر يشعر بأن حصول ذلك مشروط بها، ولا يشكل بأنه قد ينال ذلك الخالي عن بعضها لفتح باب تخصيص أو مجاز للتوفيق، وهذا إذا لم يجعل منصوبًا أو مرفوعًا على المدح.

عن علي رضي الله عنه: أنه لما تصدق أبو بكر بجميع ماله لامه قوم على ذلك، فنزلت[4].

---

(١) قرأ الأعمش بواو ساكنة، وعن أهل المدينة بنصب الواو. ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٩٧).

(٢) قال الزمخشري: "وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره: لينتقم منهم، ويعلم الذين يجادلون، ونحوه". الكشاف (٤/ ٢٣٢).

(٣) قراءة الجمهور. ينظر: البحر المحيط (٧/ ٤٩٧)، فتح القدير (٤/ ٦١٨).

(٤) ينظر: الوجيز للواحدي (ص٩٦٦)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص٦٤٣).

والفاء في ﴿فَمَتَٰعُ﴾ لتضمن ﴿مَا﴾ الأولى معنى الشرط؛ لأن إيتاء ما أوتوا نصيب للتمتع به في الحياة الدنيا.

﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾

عطف على للذين، وهو أولى من الحمل على أنه منصوب أو مرفوع بالمدح لعلة التقدير. إضافة الكبائر إلى الإثم لأنه يشمل الصغيرة والكبيرة، والتقييد بها لأن الصغيرة تُعفى عند الاجتناب عن الكبيرة، لقوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ﴾ الآية [النساء: ٣١]، وقوله عليه الصلاة والسلام: ((**الصلوات الخمس مكفرات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر**))(١).

وقيل: مضاف إلى نفسه، مثل: عجائب خلق الله، وفي المثال نظر.

ومن وحَّد حمله على الشرك، والفواحش، قيل: الزنا،أو ما عظم قبحه.

وتقديم ضمير ﴿هُمْ﴾ خبرًا لإفادة الاختصاص بالمغفرة حال الغضب، والمراد الغضب لأمور الدنيا، أو غضب بعضهم على بعض.

ومعنى إجابتهم لله: قبول طاعته، وحمل على إجابة الأنصار حين دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان، و﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ للجنس أي: الخمس، أي: أتوا بها في أوقاتها.

وكون الأمر شورى أنهم لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه، وهو لفرط تدبرهم وتفطنهم في [٧٨٦/أ] الأمور.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٩/١، كتاب: الطهارة، باب: الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، برقم: (٢٣٣)، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول: ((**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر**)).

فإن قيل: إذا جعل ذلك وصفًا يستحق ما عند الله، بمعنى: أنه إن فات هذا الوصف لم يستحقه يكون حينئذ واجبًا، فما وجه ذلك؟

قلنا: إن المراد أن لا يستقل برأيه لمخالفة الإمام، فيجرى على ظاهره وإلا حمل على المندوب، ولا يكون على وجه القيد إلا للكمال.

والشورى مصدر كالفتيا أي: أمرهم ذو شورى. وعن الحسن: ما شاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم(١).

والإنفاق وإن كان بإطلاقه يحمل على سبيل الخير، يحتمل أن يراد المفروضة لقرينة ذكره مع الصلاة، فيكون من جملة القيد.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

المراد: أن ينتصروا على ما جعل الله لهم من الانتقام إذا أصابهم الظلم، ولا ينافيه ﴿ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾، أو ظلمهم المشركون انتصروا بالسيف.

وفيه وصفهم بالشجاعة، وغفران ذنب العاجز محمود، دون المتغلب؛ لأنه إغراء على البغي، والانتصار منه تقويم له، ولولا ذلك لكان العفو أولى، ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ ﴾ [النحل: ١٢٦] ونحوه، وكذا قوله: ﴿ فَمَنْ عَفَا ﴾.

ومماثلة السيئة لازمة في القصاص، وفي سائر الحقوق، فلا يزاد على قدر الجناية، حتى لو قال: أخزاك الله، قال: أخزاك الله.

(١) رواه ابن أبي شيبة في كتاب الأدب (١/١٤٩)، وابن جرير في جامع البيان (٤/١٥٢).

وتسمية جزاء السيئة على المجاز من إطلاق اسم أحد الضدين على الآخر، لا الجزاء حين عدل عن الحقيقة للازدواج، وإن حملت على الظاهر فلأن الجزاء يسوء المجزي كقصاص العقوبة، فمن عفا بترك الانتقام، وأصلح ما بينه وبين أخيه – الذي صار عدوه – أو عمله.

وفي إبهام الأجر تعظيمه له، روي عن النبي ﷺ: ((**إذا كان يوم القيامة نادى مناد: من كان له أجر على الله فليقم، فيقوم خلق، فيقال لهم: ما أجركم على الله؟ فيقولون: عفونا عمن ظلمنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة بإذن الله**))[1].

وصيغة ﴿عَلَى﴾ تحتمل تأكيد الوعد، فلا يستدل بوجوب الثواب على الله.

والمراد بالظالمين الذين ابتدأوا بالجناية، و ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في الانتقام بالزيادة على حقهم، لقوله تعالى: ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤] ونصوصٌ غيره، وإنما يقطع الأيدي باليد الواحدة إذا تعدد القاطعون؛ لأنه صدر ذلك عن كلهم، فوجب أن يشرع في حقهم مثله؛ ولذلك قيل: المائة بالواحد.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢٨٠) (بنحوه) عن أنس ﷺ، وأورده البغوي في تفسيره (١٩٨/٧) عن الحسن، وأورده السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٥٩) وعزاه إلى ابن مردويه عن ابن عباس ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ((**إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم، فيقوم عنق كثير، فيقال لهم: ما أجركم على الله فيقولون: نحن الذين عفونا عمن ظلمنا، وذلك قول الله: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ فيقال لهم: ادخلوا الجنة بإذن الله**)) ، وفي لفظ آخر عزاه إلى ابن مردويه عن ابن عباس أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديًا ينادي ألا ليقم من كان له على الله أجر، فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا، وذلك قوله: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾**))، وأورد عن ابن مردويه أيضًا عن الحسن ﷺ: قال رسول الله ﷺ: ((**إن أول مناد من عند الله يقول: أين الذين أجرهم على الله؟ فيقوم من عفا في الدنيا، فيقول الله: أنتم الذين عفوتم لي ثوابكم الجنة**)).

وأورد عن سعيد بن منصور وابن المنذر عن محمد بن المنكدر قال: إذا كان يوم القيامة صرخ صارخ الأرض ألا من كان له على الله حق فليقم، فيقوم من عفا وأصلح.

﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾

أي: أخذ قدر حقه من الظالم بعد أن ظلم.

ويقرأ: ﴿ ظُلِم ﴾[1]، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ المنتصرون لا سبيل عليهم بعقوبة ولا مؤاخذة؛ لأنه استوفى حقه بطريق الشرع.

فإن قيل: في الآية دليل على جواز استيفاء العقوبة من غير مرافعة.

قلنا: علم عدم جواز ذلك بدليل خارج، وهو حذر عن ثوران الفتنة وتحريك السلاح، ولا سبيل بالمعاتبة إلا على من يبدأ بالظلم مصرا عليه، ويطلب الزائد على قدر حقه بالأخبار.

وقيل: قد يصير الانتصار مندوبًا؛ لما روي أن زينب أسمعت عائشة بحضرة النبي ﷺ، وكان ينهاها فلا تنتهي، فقال لعائشة: ((**دونك فانتصري**))[2].

---

(١) قراءة شاذة، قال الكرماني: "وعن ابن عمير وزيد بن علي: (ولمن انتصر بعدما ظُلِم). شواذ القراءات (ص٤٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٦٤/٤)، باب: من انتصر من بعد ظلمه، حديث رقم: (٥٥٨). وأبو داود (٢٧٥/٢)، كتاب: الأدب، باب: الانتصار، حديث رقم: (٤٨٩٨). والنسائي في السنن الكبرى (٢٨١/٥)، كتاب: عشرة النساء، باب: حب الرجل نساءه أكثر من بعض، حديث رقم: (٨٨٩٢)، (٨٨٩٣)، (٨٨٩٤)، وفي التفسير (٢٦٩/٢)، حديث رقم: (٤٩٦). وابن ماجه (٦٣٧/١)، كتاب: النكاح، باب: حسن المعاشرة، (١٩٨١). وأحمد في مسنده (٩٣/٦). وابن جرير في جامع البيان (١٥٦/١١)، حديث (٣٠٧٢٩).
وذكره الهيثمي في المجمع (٣٢٤/٤)، لكنه جعل مكان زينب بنت جحش أم سلمة، قال: "رواه أحمد، وفيه علي بن زيد وفيه ضعف".

=

والعذاب الأليم -وإن كثر استعماله في عذاب الآخرة- يحتمل حمله على عذاب الدنيا.

﴿ وَلَمَن صَبَرَ ﴾ عن استيفاء القصاص وتجاوز، فإن ذلك منه من الأمور المندوب إليها.

وحذف الضمير كما في "السَّمْن مَنوانِ [1] بِدِرْهم"، أي منه [2] وقيل: من الثابت الذي لا ينسخ [3]. والعزم: الإقدام على الفعل بعد الفكر. قيل: نزل في أبي بكر [4]، والنظر إلى عموم اللفظ.

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ﴾

هذا وإن صح حمله على كل من خذله، لكن يناسب الظالم المتقدم، أي: لا يخلصه عن الخذلان، ولا يهديه، فهو حجة ظاهرة على المعتزلة[5].

= قال الحافظ ابن حجر: "أخرجه النسائي من رواية خالد بن مسلمة عن عروة عن عائشة قالت: ما علمت حتى دخلت على زينب بغير إذن وهي غضبى ثم قالت: يا رسول الله أحسبك إذا قلبت لك بنية أبي بكر ذريعتيها؟ ثم أقبلت علي فأعرضت عنها حتى قال النبي ﷺ... (فذكر الحديث) فأقبلت عليها حتى رأيتها وقد يبس ريقها في فيها ما ترد علي".

قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/٤٧٦): "صحيح".

(١) المَنَا: الكيل أو الميزان الذي يوزن به، بفتح الميم مقصور يكتب بالألف، والمكيال الذي يكيلون به السمن وغيره، وقد يكون من الحديد أَوزانًا، وتثنيته مَنَوانِ ومَنَيانِ. ينظر: تهذيب اللغة (١٥/٣٨٠)، لسان العرب (١٥/ ٢٩٧)، مادة (مَنِيَ).

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٦١).

(٣) أي: معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء (٣/٢٥)، النكت والعيون (٥/٢٠٩).

(٥) قالت المعتزلة: إن الهداية والإضلال بيد العبد لا بيد الله، وهذا مبني على أصلهم الفاسد: أن أفعال العباد مخلوقة لهم، وفي هذه الآية رد عليهم. ينظر: شرح الطحاوية (ص١٠٦).

﴿وَتَرَى﴾ يا محمد ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾، والتعبير بالماضي لتحققه، قائلين: هل من حيلة في الرجوع إلى الدنيا، فنؤمن بالله؟! وذلك لما يشاهدون من شدة العذاب.

﴿وَتَرَىٰهُمْ﴾ يساقون إلى العذاب الذي هو النار؛ ولذلك أنَّثه، أو إلى جهنم حالة كونهم ساكتين متواضعين من الخزي والحزن، ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى النار بعين ضعيفة، أو ذليلة، أو ببعض البصر والطرف: العين، ولم يُجمع نظرًا إلى أنه في الأصل مصدر [(١)]، أو ينظرون إليها مسارقة حذرًا منها. وقيل: هو عين القلب لأنهم يحشرون عميًا [(٢)]، فالنظر بالقلب، وهذا أولى من تأويل من قال: يعرض العمى بعد الحشر لقولهم: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٥]؛ لأنه يحتاج إلى المجاز. نعم، لو قيل: كل في طائفة لم يرد إشكال، أو كالمصبور[(٣)] ينظر إلى السيف، أي: يبتدئ نظرهم إليها من تحريك لأجفان ضعيفة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾ [٧٨٦/ب]

أي: يقول المؤمنون يوم القيامة، فيكون ظرفًا لخسر، والأول أولى؛ لأن الحال غير مختص بيوم القيامة.

ولا دلالة للمعتزلة على أن الفاسق كالكافر في دوام العذاب؛ لأن لفظ الظالم المطلق للكافر، ويدل عليه: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾، والمراد: الأصنام التي توقعوا شفاعتها.

---

(١) ينظر: كتاب العين (٤١٣/٧)، لسان العرب (٢١٣/٩)، مادة: طرف.

(٢) قال ابن عطية: "وفي هذا التأويل تكلف". المحرر الوجيز (٤١/٥).

(٣) هو المحبوس للقتل. ينظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٢٠)، لسان العرب (٤/ ٤٣٨).

وأيضًا ينبغي أن يحمل عليه توفيقًا بين الأدلة، و ﴿أَلَآ إِنَّ﴾ من تمام كلامهم أو كلام الله تصديقًا لهم.

فإن قيل: ظاهره يشعر بأن من لم يخسر أهله لم يكن خاسرًا.

قلنا: المراد كمال الخسران؛ لأن أهل الإنسان مما تقرّ به عينه، ولذلك قال تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، فإذا خسر نفسه ولم ينتفع بها، وخسر أهله، فذلك هو الخسران، والعياذ بالله.

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ يدل على أن الهادي والمضل هو الله.

وما له من سبيل: من حجة أو طريق إلى الخلاص.

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾

أي: أجيبوا ربكم لما يدعوكم إليه.

واليوم: يوم الموت، أو يوم القيامة.

و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ صلة لـ﴿مَرَدَّ﴾ أي: لا يرده الله بعدما حكم به، أو صلة ﴿يَأْتِىَ﴾ أي: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يمكن أن يرد، أو لا يرجع فيما حكم به، أو لا يقبل التقديم والتأخير، أو لا يرد الإنسان إلى حال التكليف ليتدارك.

و﴿مَا لَكُم﴾ من مفر يتخلص فيه من العذاب، وما لكم من ينكر ذلك لتغير حالكم بسبب المنكر، أو ما لكم من إنكار ما اقترفتموه من الآثام؛ لأنها مبينة في صحائف الأعمال، يشهد بها أعضاؤهم.

فإن أعرض المأمورون بالإجابة ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿حَفِيظًا﴾ تحفظ أعمالهم وتحصيها، أو كفيلًا بإيمانهم، أو منعهم من الكفر. وقيل: هذا قبل الأمر بالقتال.

وما عليك إلا تبليغ الرسالة، وقد بلغت.

﴿ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾

يجري مجرى التعليل للحكم السابق، وهو أنه ما على الرسول إلا البلاغ، لا أنه حفيظ عليهم؛ وذلك لأن من طَبْعه أنه إذا فاز بمطالب الدنيا التي هي بالنسبة إلى سعادات الآخرة كقطرة في بحر، فرح بها، ووقع في العجب والكبر؛ لظنه أنه نال أقصى السعادات،وذلك لضعف اعتقاده في الآخرة، والمؤمن لا يعد نعم الدنيا إلا وصلة نعم الآخرة، وإذا أصابه سيئة كمرض وفقر بشؤم فعله، كان في نهاية الكفر، ونسي النعمة، ولم يفكر في سبب السيئة، بل يسخط من قضاء الله، ولم يرها عقوبة فعله.

وإسناده إلى الجنس[1] مع اختصاصه بالمجرمين، بل قيل: هي في الكفار؛ لغلبتهم، وليعم الإنذار، وإنما صدر الشرطية الأولى بـ ﴿إِذَآ﴾، والثانية لكون إذاقة النعمة محققة باعتبار أنها عادة مقتضية بالذات، دون إصابة النكبة، وإقامة علة الجزاء التي هي الكفران مقامه، ووضع الإنسان موضع ضميره؛ للإشارة إلى أن ذلك وصف هذا الجنس.

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

فائدته الإشارة إلى أن ما حصل للإنسان فلإنعام الله عليه، لا من عقله واجتهاده؛ ليزيد في الطاعة والشكر. وذكر موهبة الإناث والذكور ينافي تخصيص بعض الملك بالبعض.

﴿وَيَهَبُ﴾ بدل من ﴿يَخْلُقُ﴾، بدل البعض، وفيه رد قول من يرى الولد الذكر؛ لاستيلاء الحرارة على المزاج، والأنثى لاستيلاء البرودة، وقد سبق في النحل إبطاله[2].

---

(١) أي: جنس الإنسان. ينظر: الكشاف (٤/٢٣٦).

(٢) قول المؤلف رحمه الله: "وقد سبق في النحل إبطاله" هو نقل بمعناه من مفاتيح الغيب، فهذا الكلام للرازي. ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٥٨)، وقد أبطل هذا القول الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: =

وما ذكر في تقديم أحد النوعين تارة وتأخير أخرى لوقوع الختم على الخير، أو لنقله من الغم إلى الفرح، أو جبر ضعف الأنوثة وتطييب قلب من له الأنثى [1]، فليس بقوي، بل في وقوعه متعاكسين جوابه [2]، وقيل: لأن الأنثى أكثر، وقيل: تعريف الذكر وتنكير الأنثى لكون الذكر أفضل[3].

ومعنى ﴿ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗا﴾ أنه قد يهب الصنفين لواحد، وقيل: نزلت في حال الأنبياء حيث اختص بعضهم بالإناث، وبعضهم بالذكور، وبعضهم بالقسمين، ولبعضهم العقم[4]. وقيل: في ذكر المشيئة أنه لما كان مساق الآية للدلالة على أن ما يتعلق به هو الواقع، لا

= ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢ ﴾ [النحل: ٧٢]، ينظر: مفاتيح الغيب (٢٠/٦٥-٦٦). وبالرجوع إلى تفسير المؤلف رحمه الله لهذه الآية، لم أجده قد ذكر حول هذا الأمر شيئًا، فاتضح أن الجملة للرازي لا للمؤلف.

(١) هذه التعليلات ذكرها الرازي. ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٥٩).

(٢) حيث قدم ذكر الأنثى أولًا فقال: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾، ثم عكس ذلك فقدم الذكر بقوله: ﴿أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ﴾.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٥٩).

(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما: "الآية خاصة في الأنبياء عليهم السلام وهب الله للوط عليه السلام، بنات، ولإبراهيم عليه السلام بنين، ولمحمد ﷺ البنين والبنات، وجعل عيسى ويحيى عليهما السلام عقيمًا". أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٨/٣٢٥)، وينظر: بحار العلوم (٣/٢٣٧)، وقال ابن الجوزي: "وهذه الأقسام موجودة في كل الناس، وإنما الأنبياء تمثيلًا ". زاد المسير (٧/١٢٥).

مشيئة الإنسان، فإنه لا يشاء الإناث[1]، بل يعدهن العرب من البلاء، والتقديم؛ لأن الكلام فيه أعني: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾[2].

وذكر ﴿أَوْ﴾ في الثاني، والواو في الأول، أن الثاني قسيم المشترك، وهو وهب الأولاد بين القسمين؛ ولهذا لم يحتج الرابع إلى العاطف؛ لأنه صريح في أنه قسيم المشترك بين الأقسام المتقدمة.

وكونه سبحانه عليمًا قديرًا؛ لبيان أنه لا يفعل ما يفعل إلا بمقتضى الحكمة، وله القدرة البالغة، فلا دافع لمراده، فإنه يفعل بالاختيار، لا الإيجاب بالذات.

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

لعل وجه الربط تتميم بيان نوع آخر من عظمة الله [٧٨٧/أ] بعد ذكر ملك السموات والأرض، وفيه بيان كيفية تخصيص الأنبياء بما يُلقى إليهم من المعاني، والمراد أنه لا يصح لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا على أحد هذه الوجوه.

والوحي: الكلام الخفي الذي يدرك بسرعة[3]؛ لأنه تمثيل، ليس في ذاته مركبًا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة، وهو وإن كان أعم مما يشافه به لحديث المعراج، وما

---

(١) أي: الإنسان، قال الزمخشري: "ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته، وذكر قسمة الأولاد، فقدم الإناث؛ لأنّ سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الإنسان، فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الإنسان أهم، والأهم واجب التقديم". الكشاف (٤/ ٢٣٧).

(٢) هذا من الربط بين هذه الآية والآية التي سبقتها، أي: أن تقديم الأنثى أولًا، وهي من البلاء- بحسب قول المؤلف- ناسب الآية التي قبلها والتي ورد فيها ذكر البلاء ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾، وهذا الكلام نقله المؤلف بمعناه عن الزمخشري حيث قال: " وليلي الجنس الذي كانت العرب تعدّه بلاءً؛ ذكر البلاء". الكشاف (٤/ ٢٣٧).

(٣) الوحي في اللغة: إعلام في خفاء، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح وبالكتابة.

=

وعد به في حديث الرؤية، وما يسمع من الهاتف كما اتفق لموسى في الطور، لكن لما عطف عليه، ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ علم أن المراد الكلام الخفي، هذا ما ذكره في "الأنوار"[1].

وفي "المفاتح": ذكر أن المراد بالوحي الإلهام والإلقاء في الرُّوع[2]، كما وقع في المنام؛ لأنه لإبراهيم في ذبح الولد، والوحي إلى أم موسى. وقيل: أوحى إلى داود بالزبور في صدره، وما يسمع من غير واسطة ملك يسمى وحيًا أيضًا؛ لقوله تعالى لموسى: ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣]. وقيل: المراد ما ينزل به الملك، فيكون قوله: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا﴾ بيانًا لقوله: ﴿إِلَّا وَحۡيٗا﴾، وعلى الأول: يكون المراد بالرسول: الملك الموحِي إلى الرسول، وعلى الثاني: معناه: أو يرسل إليه نبيًا، فيبلغ وحيه كما أمره[3].

قال في "الأنوار": "وفي الآية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها" [4]، وأراد بذلك الرد على المعتزلة حيث قالوا: لو صحت الرؤية لصح الكلام مع العبد حال الرؤية، فيكون قسمًا رابعًا، والله تعالى قد نفاه، ولعل وجه الدلالة أن عطف ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ يدل على أن الأول[5] يجوز أن يكون بغير حجاب، وإلا لما كان هذا قسيمًا له، وما ذكر أنها نزلت لما قال اليهود للنبي ﷺ: لو كنت نبيًا لكلمت الله ونظرت كما كان لموسى عليه السلام،

=

واصطلاحًا: هو إعلام الله لأحد أنبيائه بحكم شرعي أو نحوه-هذا تعريف باعتبار معنى الإيحاء- أو هو كلام الله تعالى المنزل على أحد أنبيائه، وهذا تعريف باعتبار ال .مُوحَى. ينظر: تهذيب اللغة (٥/ ١٩٣)، لسان العرب (١٥/ ٣٨١)، دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي (ص١٧٤).

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص٦٤٦).

(٢) الرُّوع: هو موضع الرَّوع -أي: الفزع- وهو القلب. ينظر: كتاب العين (٢/٢٤٢)، لسان العرب (٨/١٣٥)، مادة (رَوَعَ).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٦٠).

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (ص٦٤٦).

(٥) وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَحۡيٗا﴾.

فقال: ((**لم ينظر موسى إلى الله**)) [1]، وقول عائشة: (من قال إنَّ محمدًا رأى الله فقد أعظم الفرية)[2]، لا يدل على امتناع الرؤية.

وقال في "المفاتح": يريد قيدًا آخر، وهو أنه ليس لبشر أن يكلمه الله في الدنيا؛ توفيقًا بينه وبين الدلائل الدالة على جواز الرؤية، وقد سبق غير مرة أن الكلام عند المعتزلة: هذه الحروف والأصوات، والأشاعرة: على أنه المعنى القائم بذات الباري سبحانه، وهذه عبارات عنه، ولا خلاف بين الأمة أن الله تعالى متكلم[3].

قال في "المفاتح": ومن سوى الأشاعرة اتفقوا على أن كلام الله، وهو هذه الحروف المسموعة والأصوات المؤلفة، فالحنابلة قالوا: بقدمها، والكرَّامية [4]: بحدوثها وقيامها بذات الباري، والمعتزلة: بخلقها في الأجسام[5].

فإن قيل: ما تحصيل هذه الاختلافات؟

قلنا: الواجب اعتقاد أن ما بين الدفتين كلام الله؛ لأن تلك المعاني لا تستفاد إلا منه، والكلام في أن الإطلاق حقيقي أو مجازي غير لازم التحرير، والله أعلم.

---

(١) ينظر: أسباب النزول للواحدي (ص٢٥٢)، قال الحافظ ابن حجر: "لم أجده". الكاف الشاف (ص١٤٦).

(٢) عن مسروق قال: كنت متكئًا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟! قالت: من زعم أن محمدًا صلى ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية... الحديث ، أخرجه مسلم (١/١٥٩)، كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله ﷻ ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [النجم: ١٣]، وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء؟! برقم: (١٧٧).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٦١).

(٤) أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، كان يثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه. ينظر: الملل والنحل (١/ ١٠٨).

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٦١).

قال في "المفاتح": الصحيح عند أهل الحق أن الشيطان لا يقدر على إلقاء الباطل في أثناء الوحي، ومنهم من جوَّز لما يأتي في سورة ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ [النجم: ١][(١)]. قال: وكان صديقنا الملك سام بن محمد[(٢)]، وكان أفضل من رأيته من أهل السلطنة، ويقول: هذا الكلام باطل من وجهين آخرين: الأول: أنه إذا كان الشيطان لا يقدر أن يتمثل في المنام بصورة النبي ﷺ فكيف يقدر على التشبه بجبريل؟! والثاني: أنه قال عليه السلام: ((**إن الشيطان لا يسلك فجًا سلكه عمر**))[(٣)]، فكيف يقدر أن يحضر مع جبريل؟![(٤)]

ولقائل أن يقول: هذا نوع استبعاد يُؤيَّد به الدليل، واللائق لدفع قول المجوز أن ذلك مما يرفع الوثوق عن الوحي قبل ورود ما يدفعه. وما ورد في النجم فقد أجيب عنه، وسبق في قوله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الحج: ٥٢].

والعلي هنا: المتعالي عن سمات المخلوقات، الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة من التكليم بالوحي تارة، ومن وراء حجاب أخرى، بواسطة الرسول وبغيرها.

---

(١) يشير إلى قصة الغرانيق، وهي قصة باطلة نقلًا وعقلًا، ينظر: كتاب "نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق" للألباني رحمه الله تعالى.

(٢) بهاء الدين سام بن محمد بن مسعود المِلك صاحب باميان ، وهو ابن أخت غياث الدين وشهاب الدين صاحبي غزنة وغيرها ، ملك في سنة أربع وتسعين وخمس مئة، وتوفي سنة ٦٠٢هـ. ينظر: الكامل في التاريخ (١٠/ ١٥٣)، تاريخ الإسلام (٤٣/ ٨٣).

(٣) أخرجه البخاري ١٣٤٧/٣، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، برقم: (٣٤٨٠)، ومسلم ١٨٦٣/٤، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: فضائل عمر رضي الله عنه، برقم: (٢٣٩٦)، كلامهما رواه بلفظ: ((**والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجا إلا سلك فجًا غير فجك**)).

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب (٢٧/ ١٦٣).

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾

أي: ومثل إيحائنا إلى الرسل قبلك أوحينا إليك.

ويصح الإشارة إلى التكليم بالطرق الثلاث؛ لأنه كان في بدء الأمر يدرك الكلام في المنام، وسمع ليلة المعراج من وراء حجاب، وأتاه جبريل.

وتسميته الموحى به -وهو القرآن أو الأعم- ﴿رُوحًا﴾ لأن القلوب تحيا به، وكذا الأديان.

وفي إرادة جبريل به -كما قيل- نظر؛ باعتبار التنكير، لا سيما وجبريل ليس الموحي إلا أن يقدر بأن أرسلناه بالوحي.

وعدم العلم بالكتاب قبل الوحي، وكذا بالإيمان مطلقًا، أو بالكتاب، أو بما لا طريق إليه إلا السمع. وقيل: قبل البلوغ.

وفيه دليل على أنه لم يكن متعبدًا قبل النبوة بشرع من قبله.

وضمير ﴿جَعَلۡنَٰهُ﴾ يعود إلى الكتاب، أو الإيمان، أو إليهما بتقدير المذكور، أو الروح، ومن تعلقت المشيئة بهدايته الموفق للقبول والنظر في دلالته.

والصراط المستقيم هو: الإسلام.

ويقرأ بالمجهول[1]، أي: يهدي الله النبي عليه.

و﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ بدل من الأول.

وما في السموات والأرض لله خلقًا وملكًا، ويحتمل إرادة أجزائهما.

(١) عن الجحدري وحوشب. ينظر: شواذ القرآن لابن خالويه (ص١٣٥)، البحر المحيط (٧/ ٥٠٥).

وفي ذكر رجوع الأمور إلى اللهِ بزوالٍ وعدٌ ووعيد.

والهداية في ﴿نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ﴾ غير هداية الدعوة؛ لأنها عامة، وهذه خاصة لبعض العباد، والله أعلم.